ترجمة المصطلح اللساني عند محمّد يحياتن
مصطلحات علم الدّلالة نموذجاً

د. سيدي محمّد بن مالك
أستاذ محاضر بجامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان – الجزائر

اضطلع محمّد يحياتن بترجمة عددٍ من البحوث والدّراسات اللّسانية من اللّغة الفرنسيّة إلى اللّغة العربيّة. وقد تعدّدت تلك التّرجمات بتعدّد العلوم المتفرّعة عن اللّسانيات؛ فقد كان همّ الأكاديميّ والباحث والمترجم الجزائريّ، الّذي فاجأه الموت ذات يومٍ من شهر ماي سنة 2012، تيسير المصطلح اللّساني للباحث والقارئ العربيّيْن شكلاً وتعريفاً، بغضّ الطّرْف عن انتساب هذا المصطلح إلى ميدانٍ لسانيٍّ معيَّنٍ. لقد تصدّى يحياتن بالتّرجمة لجملةٍ من الكتب المتخصّصة في علم الدّلالة واللّسانيات الاجتماعيّة واللّسانيات التّداولية وتحليل الخطاب والسّياسة اللّغوية[1]. وقد آثرنا الوقوف عند أسلوبه في ترجمة المصطلح اللّساني في كتابٍ

---

[1] فضلاً عن إجادته للّغة الفرنسية، يمتلك محمّد يحياتن (1953-2012)، بوصفه أكاديمياً وباحثاً في ميدان اللّسانيات والتّرجمة وتعليميّة اللّغات، معرفة موسوعيّة بالميادين الفرعية للّسانيات. وهو ما أهّله لإنجاز ستّ ترجمات، في حدود علمنا، لبحوث لسانيّة هامّة، هي، على التّتالي، "مدخل إلى اللّسانيات التّداولية" للجيلالي دلاش (1992)، و"علم الاجتماع اللّغوي" للويس جان كالفي (2006)، و"السّياسات اللّغوية" للباحث نفسه (2008)، و"المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" لدومينيك مانغونو (2008)، و"القول من حيث هو فعل" لجون أوستين (2010)، و"مدخلٌ إلى علم الدّلالة" لسالم شاكر (2012) إضافةً إلى ترجمة كتاب يعنى بتاريخ التّرجمة ومفاتيحها ومنزلة المترجم والتّرجمة الشّفوية، وهو كتاب "موسوعة التّرجمة" لجوئيل رضوان (2010)، وكتب في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر وروايات.

انصرف إلى تحديد مصطلحات مفتاحيّة في علم الدّلالة بوصفه ميداناً لسانياً صرفاً، وهو كتاب "مدخل إلى علم الدّلالة" لسالم شاكر. وسنتّبع، في قراءتنا الوصفيّة لأسلوب يحياتن في ترجمة المصطلح اللّساني، الخطوات الآتية:

– على الصّعيد النّظري: التّمييز بين المفردة والمصطلح، والإشارة إلى تداخل العلوم في مسألة نقل المصطلح، كاللّسانيات والمصطلحيّة والمعجميّة وعلم و/أو فنّ التّرجمة نفسِه.

– على الصّعيد التّطبيقي: تحديد المكافِئات المصطلحيّة الّتي يستعملها يحياتن في ترجمته لهذا الكتاب، ومقارنتها بنظيراتها في التّرجمات الأخرى، وتأكيد الطّبيعة المتغيّرة للمصطلح اللّساني أثناء توظيفه في مباحث اللّسانيات وفروعها، وهو ما ينعكس على عمليّة ترجمة المصطلح نفسِه.

1. المصطلح وتداخل العلوم

تمثّل ترجمة المصطلح اللّساني أداة متميّزة لتحقيق التّواصل اللّغوي والثّقافي (العلمي تحديداً، باعتبار العلم نمطاً ثقافياً من بين أنماط ثقافيّة أخرى) بين المتخصّصين، حتّى لَيغدوَ المصطلح مُشاعاً بينهم بقطْع النّظر عن انتماءاتهم الجغرافية واللّغوية؛ فمصطلحا الدّال والمدلول لم يبقيا ملكاً لفرديناند دو سوسير وحده، بل أصبحا ملكاً لجمهور اللّسانيّين الّذين استقبلوهما فهماً وشرحاً واشتغالاً وترجمةً وتعديلاً وتجاوزاً. غير أنّ التّرجمة، لكي تحترز من التّحريف ابتغاء الاستقبال الجيّد للمصطلح، ينبغي أن تحيط بخاصيات المصطلح اللّساني من حيث كونُه:

1. مفردةً خاصّةً تختلف عن المفردة المشتركة الّتي يتداولها عامّة النّاس.
2. مرتبطاً بالكلام لا باللّغة وبالاستعمال لا بالمقام، وإن كان مقامُه هو المقام العلمي.
3. نسقياً؛ فهو يدخل في علاقة من نوعٍ ما بمصطلحات أخرى، نحو علاقة الاحتواء أو الاندراج أو التّقابل أو التّكامل؛ فمصطلح الدّليل يحتوي مصطلحيْ الدّال والمدلول المندرجيْن فيه، وهما متقابلان ومتكاملان في الآن ذاته.

4. حاملاً لمعنى أحادي لا متعدّد، عكس المفردة الأدبيّة الّتي تحمل إيحاءات كثيرة ومختلفة في سياق النّص.
5. منتسباً إلى ميدان معرفيّ هو اللّسانيات الّتي تعتبر ميداناً عامّاً أو مُشجَّراً يمكن أن يتوزّع على ميادين فرعيّة، كاللّسانيات العامّة واللّسانيات التّطبيقية والفونولوجيا وعلم الدّلالة. ومن ثمّ، قد يكون للمصطلح معنًى أحاديٌّ إذا انتمى إلى ميدان فرعيّ واحد، أو معنًى متعدّدٌ إذا انتمى إلى أكثر من ميدان فرعيّ واحد. وفي الحالَيْن، يظلّ أحاديَ المعنى بالنّظر إلى الميدان الواحد. إنّ تعدّد تصوّرات مصطلح التّواتر fréquence، مثلاً، نابعٌ من تعدّد الميادين الفرعيّة الّتي تنتسب إليها هذه المفردة الخاصّة، من لسانيات تطبيقيّة وفونيطيقا ومعجميّة؛ فهذه التّصوّرات علميّةٌ تتولّد عن الملاحظة والوصف وليست إيحاءات شعريّة ينتجها الذّوق والتّأويل اللّذيْن تستثيرهما المفردة الأدبيّة.

إنّ تمكُّن المترجم من استيعاب هذه الخاصيات ومراعاته لها يعكس درايته باللّسانيات الّتي تُعَدُّ مدخلاً لفهم المصطلح، ومن ثمّ، نقله من اللّغة – المصدر إلى اللّغة – الهدف، حيث "يتكوّن كلّ قسم مُؤلِّف لنظام تصوريّ معيَّن من أربعة عناصر، هي: المصطلح والتّصوّر والميدان والتّعريف. يهتمّ علم المصطلحات بالمصطلح الّذي يعتبره بمثابة العنصر المركزيّ. بيد أنّ العناصر الأخرى ضروريّة لوجود المصطلح. يترتّب على شكل لغويّ ما، لكي يُعترَف بوجوده كمصطلح، أن يشير إلى تصوّر ينتمي إلى ميدان معيَّن وأن يُحدَّدَ بواسطة تعريف. ويمثّل الميدان أحدَ العناصر الثّلاثة الّتي يتألّف منها المنصب الثّلاثي القوائم الّذي يرتكز عليه المصطلح (باعتبار أنّ العنصريْن الآخريْن هما التّصوّر والتّعريف)"[1].

على حين يحيل عنصر الميدان إلى اللّسانيات كعلم يجب الإلمام بأسباب نشأته وميادينه الفرعيّة ومصطلحاته وإجراءاته التّحليلية، يُحيل عنصر التّصوّر على علم آخر يحاول الانعتاق

[1] هنري بيجوان، فيليب تواورن: "المعنى في علم المصطلحات"، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: سليم نكد، بيروت، المنظّمة العربية للتّرجمة، ط. 1، 2009، ص 269.

من اللّسانيات الّتي ينبثق عنها بتأسيس رؤية ومنهجيّة خاصّتيْن به، ألا وهو المصطلحيّة؛ فالتّصوّر، في نظر المصطلحيّين، أشمل من المدلول signifié وأدلّ على المعنى منه، وهنا تتجلّى محاولة الانعتاق تلك؛ "فَهُمْ [أي المصطلحيّون] ميّالون، بالأحرى، إلى اعتبار التّصوّر فطرياً وبديهياً، وأنّه ينتج عفويّاً، نوعاً ما، عن الشّيء المُسمّى. كما أنّهم ينزعون، باستمرار، إلى إحالة البحث على حالة الأسماء الّتي تدلّ على أشياء محدَّدة وملموسة وتنتمي، بوضوح، إلى فئات محدَّدة جيّداً ومعترف بها بالإجماع"[1]. كذلك، فإنّ التّصوّر لا يمكن أن يُحَدَّ بالمدلول الّذي يختلف باختلاف الألسن، وهذا ما يظهر، خاصّةً، أثناء ترجمة المصطلح؛ فالتّصوّر مُؤتَلَف فيه، والمدلول مُختَلَف فيه؛ الأولّ يشير إلى الفهم والإدراك والاستبطان، والثّاني يشير إلى مجموع السيمات sèmes الّذي يؤلّف الدّليل. من أجل ذلك، لا يربط المصطلحيّون، أو بعضهم على الأقلّ، بين التّصوّر والمدلول في صياغة مفهوم المصطلح، بل يربطون بين التّصوّر والتّعريف الّذي لا "يحيل إلاّ على ميدان محدَّد، ومن ثَم أن يكون مختصّاً بقدر ما يستوجبه الميدان"[2]. وكأنّ المصطلحيّين يستعيضون بالتّعريف عن المدلول ويَحُدّون التّصوّر به، ليكون وصف المصطلح خاصّاً ودقيقاً لا يجانِب الصّواب وضعاً في اللّغة – المصدر ونقلاً إلى اللّغة – الهدف.

كما لا يغيب عن ذهن المترجم أنّ وضع المصطلح اللّساني أو ترجمته نشاطٌ يتطلّب أناةً وجهداً وإلماماً. وهو، فضلاً عن ذلك، نشاطٌ علميٌّ لا يستقيم إلاّ إذا توفّرت لدى اللّسانيّ الواضِع أو المترجم معرفة بالمصطلحيّة وفرعيْها من مصطلحية نظرية terminologie ومصطلحية تطبيقية terminographie وبالحدود الّتي تفصلها عن اللّسانيات والمعجميّة بفرعيْها، هي الأخرى، من معجمية نظرية lexicologie ومعجمية تطبيقية lexicographie وبمناهج التّقييس وغاياته، ذلك أنّ صناعة قاموس اللّسانيات أو ترجمته تختلف عن صناعة معجم اللّغة

[1] المرجع نفسه، ص 30.

[2] المرجع نفسه، ص 270.

أو ترجمته من حيث إنّ الأوّل يُعنى بتعريف التّصوّرات الأَحاديّة المعنى وتقييسها لتوحيد المصطلحات بين اللّسانيين، على حين يعنى المعجم بتحديد السيمات المعجمية المتعدّدة وإمكانات تحقّقها في سياق معيّن بناءً على استعمالاتها المحتمَلة لدى عامّة النّاس؛ فالتّواتر، في اللّسانيات التّطبيقية، هو "قرينة رياضية وإحصائية مُقدَّرة بعدد وُرودِ عنصرٍ في مجموعة من النّصوص. وهو يُستعمَل في الأسلوبيّة، والمعالجة الآلية للنّصوص... ويُستعمل، في وضع لغة أساسيّة، في تحديد الاستعمال والمُتاح؛ فمن غير الملائم، إذن، المقابَلة، إحصائيّاً، بين مفردات مُتيسِّرة ومفردات متواترة، لأنّها مُحدَّدة بالقرائن نفسِها، مع أنّ اختيار مفردات مُتيسِّرة يجري بإجراءات خاصّة"[1]. أمّا التّواتر، في معجم اللّغة، فيدلّ على التّتالي والتّوالي والتّتابع والتّلاحق مع فتراتٍ أو من دون انقطاعٍ: "والتّواتر: التّتابع، وقيل: هو تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات. وقال اللّحياني: تواترت الإبل والقَطا وكلّ شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مصطفّة. [...]. وقال مرّة: المتواتر الشّيء يكون هنيهة ثمّ يجيء الآخر؛ فإذا تتابعت فليست متواترة، إنّما هي متداركة ومتتابِعة على ما تقدّم. [...]. والخبر المتواتر: أن يُحدّثه واحد عن واحد، وكذلك خبر الواحد مثل المتواتر. [...]. وكذلك واترت الكتب؛ فتواترت؛ أي جاءت بعضها في إثر بعض وِتْراً وِتْراً من غير أن تنقطع"[2]. وللتّواتر معنى خاصّ في علم العَروض؛ فـ "المتواتر: كلّ قافية فيها حرف متحرّك بين حرفيْن ساكنيْن، نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفَعْلُنْ وفَلْ إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فَعُولُنْ فَلْ"[3].

ويبدو أنّ السيمات الخاصّة بمفردة تواتر ليست سيمات معجميّة فقط، بل هي سيمات سياقية كذلك. ولا نريد بالسّياق، هنا، السّياق العامّ الّذي يجري فيه تداول المفردة وشيوعها بين عامّة

---

[1] Collectif : « Dictionnaire de la linguistique », Sous la direction de : Georges Mounin, France, puf, 2006, p 147.

[2] أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ: "لسان العرب"، مادة (هـ – و– ي)، المجلّد الخامس عشر، بيروت، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط. 3، 2004، ص 147.

[3] المصدر نفسه، ص 147.

النّاس، وإنّما نريد به السّياق الخاصّ الّذي يجري فيه التّداول والشّيوع بين المتخصّصين، وهم، في هذه الحال، علماء العَروض. وهذا يعني أنّ المعجم لا يتضمّن مفردات مشتركة فحسب، بل يتضمّن مفردات خاصّة أيضاً؛ أي مصطلحات، على سبيل الإشارة لا الوصف، والتّلميح لا التّفصيل. غير أنّ المعجم، بما يحويه من مفردات مشتركة وأخرى خاصّة، يُعَدُّ سنداً للّسانيّ و/أو المصطلحيّ والمترجم، جميعاً، في محاولتهم تقديم تعريفات دقيقة لمفردات خاصّة في ميدان متخصّص؛ فهو يتيح لهم التّعرّف بالإمكانات اللّغوية الّتي تختزنها المفردة (تعدّد السيمات) والإمكانات الاصطلاحيّة الّتي تُصيِّرها مصطلحاً (تعدّد التّصوّرات) لِيَحْدُثَ الاستقرار على تعريف له يبرز انتسابه إلى ميدان اللّسانيات، ذلك أنّ مصطلح التّواتر متعدّد التّصوّرات وهو، من ثَمّ، ينتمي، فضلاً عن علم العَروض، إلى ميادين معرفيّة أخرى، نظير علم الطّب وعلم الفيزياء وعلم الكيمياء وعلم الإحصاء وعلم الاتصال وعلم السّرد أو السّرديات، وهو علم يُعنى بمقارَبة الخطاب السّردي كما يمثُل في أعمال جيرار جينيت.

وكما أنّه لا مناص للّسانيّ و/أو المترجم من الاهتداء بالمصطلحيّة والمعجميّة في وضع المصطلح، فإنّه لا مناص لهما من الرّكون إلى علم و/أو فنّ التّرجمة؛ فَلأنَّ اللّسانيات ميدانٌ معرفيٌّ كونيٌّ، فإنّ التّرجمة حاضرة، لا محالة، في عمليّة صياغة المصطلح على مستويْ الشّكل والتّعريف؛ فقد عرفت لسانيات دو سوسير وتواصلية رومان جاكبسون وتوزيعية ليونارد بلومفيلد ووظيفية أندري مارتيني وتوليدية تحويلية نوام شومسكي ما يمكن دعوته بالمُثاقَفة العلمية في ميدان اللّسانيات. ومن ثَمّ، فقد كوَّنت التّرجمة الجسر الّذي عبرت عليه الدّوال والتّصوّرات من وإلى أكثر من لغة واحدة، بل من فرْط أهميّة التّرجمة بالنّسبة للّسانيات، فقد خاض فيها بعض اللّسانيّين، أمثال رومان جاكبسون وجورج مونان.

وعلى الرّغم من التّجاذب الّذي تعرفه التّرجمة بين العلم والفنّ، فإنّنا نجنح إلى القول بأنّ ترجمة المصطلح اللّساني نشاط علميّ حين يوظّف المترجم إجراءات التّرجمة ومفاتيحها، ولكنّها، أيضاً، نشاط لا يخلو من إبداع حين يكون همّ المترجم تحقيق المعادِل التّصوّري للمصطلح؛ "فالتّرجمة هي، في الوقت ذاتِه، عمل تقني وعمل كاتب. ومن ثَمّ، فهي عملية

رياضية لصياغة رسالة وفكّها décodage et encodage، فضلاً عن عمليّة إعادة خلق فنيّ recréation artistique. وحتّى في صلب المنظّرين المحدثين، فإنّ دعاة الفنّ – أي القائلين بأنّ التّرجمة فنّ – (مثل سافوري) يواجهون دعاة العلم – أي القائلين بأنّ التّرجمة علم (مثل نايدا) والقائلين بالعملية اللّغوية الصّرفة – أي إنّ التّرجمة عملية لغوية (مثل فيدوروف) أو القائلين بالعملية المسمّاة بلفظ غامض هو الأسلوبيّة (مثل فيني). ثمّة، إذن، ثنائيّة بين العلم والفنّ حسب المنظّرين. غير أنّ الّذي يمارس التّرجمة يعرف أنّه يمكن التّوفيق بين النّزعتيْن. وهكذا، نجد ج. ستاينر ينظر إلى التّرجمة بوصفها (فنّاً دقيقاً)"[1]. وحتّى إذا سلّمنا بأولوية العلم على الفنّ ورُجوح كفّته عليه، فإنّ النّهوض بترجمة المصطلح اللّساني يقتضي الانفتاح على العلوم الأخرى، مثل علم الاجتماع وعلم النّفس وعلم الطّب والمعلوماتية وعلم الأدب والفلسفة؛ فقد لا يكون المصطلح كياناً لسانياً مكتفياً بتصوّره، بل قد تكون له تجليّات وتقاطُعات وامتدادات في ميادين أخرى، على غرار اللّسانيات الاجتماعية واللّسانيات النّفسية والأرطفونيا واللّسانيات المعلوماتية وتحليل الخطاب وفلسفة اللّغة.

2. أسلوب يحياتن في ترجمة مصطلحات علم الدّلالة

يهدف علم الدّلالة، باعتباره فرعاً من اللّسانيات، إلى مقاربة الدّليل، سواءٌ أكان ذلك على صعيد العلاقة بين الدّال والمدلول أم على صعيد المدلول ذاتِه؛ ففي حين يحيل الصّعيد الأوّل على المعجميّة بشقّيْها، يحيل الصّعيد الثّاني على ما يدعى بـــ noologie[2] وهو "نظريةٌ للمدلول اقترحها من لويس بريطو. وهي مقاربة للدّلالة تنطلق من واقعة ملموسة هي المعنى لدراسته من وجهة نظر إسهام الشّكل في تكوينه"[3]. وفضلاً عن إمداد هذه العلوم والنّظريات بمفاهيمه وأدواته، يُعِين علم الدّلالة المصطلحية على إدراك المدلولات الثّاوية في الدّوال، وذلك

[1] جوئيل رضوان: "موسوعة التّرجمة"، ترجمة: محمّد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللّغوية في الجزائر، د. ط، 2010، ص 40.

[2] Collectif, op. cit, p 293.

[3] Ibid, p 233.

بتزويدها بمصطلح السيما الّذي يُعَدُّ أحد أهمّ المصطلحات – الأدوات المُستثمَرة من قِبَلِ ألجيرداس جوليان غريماس في علم الدّلالة البنيوي، حيث يذهب أحد المصطلحيّين[1]، مثلاً، إلى اعتماده في التّفريق بين التّصوّر والمدلول في وضع المصطلح، كما ألمحنا إليه من قبل.

وبقَطْع النّظر عن تعدّد تيّارات علم الدّلالة، من علم دلالة بنيويّ وعلم دلالة تاريخيّ وعلم دلالة توليديّ وعلم دلالة معرفيّ[2]، فإنّ هذا العلم لا مندوحة عنه في المصطلحيّة. في حين، يخال عبد السّلام المسدّي أنّ علم الدّلالة هو الّذي بحاجة إلى المصطلحيّة؛ إذ يقول في سياق حديثه عن العلاقة النّاشئة بينهما بعدما أصبحت المعجمية النّظرية والمعجمية التّطبيقية اللّتان يسمّيهما المعجمية (أو اللكسيكولوجيا) والقاموسية (أو اللكسيكوغرافيا) لا تقويان، في نظره، على صرْف الحيرة عن اللّسانيّين حيال التّصوّرات الجديدة: "وعلم المصطلح موكلٌ إليه، اليوم، أن يساعد علم الدّلالة على فحص إشكالات المعنى عسى أن يجيب عن سلسلة المساءلات المعرفيّة المتجدّدة: كيف تدلّ اللّغة بألفاظها على ما تدلّ عليه ؟ وهل هناك نواميس تطّرد في ارتباط الأسماء بمُسميّاتها ؟ ثمّ ما هو مدى تصرّف الإنسان – مستعمل اللّغة – في توجيه الرّوابط الدلاليّة بين الدّوال والمدلولات ؟ بل كيف تتحرّك اللّغة ذاتياً؛ فتسدّ بألفاظها ما قد يحدث من شغور في كيانها المعنويّ بموجب بروز مُتصوَّرات لا تملك اللّغة في البدء ما تدلّ به عليها ؟"[3].

ولعلّ المساءلة الأخيرة تشي، بضربٍ من الإبدال، بقصور علم الدّلالة عن توفير مصطلحات – أدوات غير تلك الّتي يمكن أن يوفّرها، نظير السيما، تسمح باستيعاب انسياب التّصوّرات المهدّد لكيان اللّغة المفرداتي والمعنويّ معاً، خاصّة إذا وفدت على اللّغة

[1] يُنظَر: هنري بيجوان، فيليب تواورن، المرجع السّابق، ص 149.

[2] يُنظَر: جان فرنسوا دورتيه: "معجم العلوم الإنسانيّة"، ترجمة: جورج كتورة، أبو ظبي، بيروت، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث (كلمة)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع (مجد)، ط. 1، 2009، ص 738.

[3] عبد السّلام المسدّي: "مباحث تأسيسيّة في اللّسانيات"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2010، ص 51.

مصطلحات من لغات أخرى من دون استئذان ولا إذن، من قبيل مصطلحات علم الدّلالة نفسِه؛ فكيف السّبيل، والحال هذه، إلى مجابهة هذا التّدفّق الّذي يتحدّى كيان اللّغة العربية في ما يخصّ مصطلحات هذا العلم؟ وما هي المناهج الّتي يتوخّاها يحياتن، في ترجمة تلك المصطلحات، للتّخفيف من هوْل التّهديد وعنفوان التّحدي؟

ثمّة فرق بين الرّغبة في تحقيق المعادِل اللّساني للمصطلح والرّغبة في تحقيق معادِله التّصوّري من لدن المترجم. ويتوقّف تحقيق إحدى هاتيْن الرّغبتيْن، أو هما معاً، على الالتزام بمنهجيْن مختلفيْن في الطّريقة والغاية، وهما منهج التّوليد اللّغوي ومنهج التّوليد المعنوي؛ ففي حين يضمّ المنهج الأوّل مناهج فرعيّة، مثل منهج التّعريب ومنهج الاقتراض ومنهج النّحت أو التّكثيف ومنهج التّركيب ومنهج الاشتقاق ومنهج المجاز، يضمّ المنهج الثّاني، هو الآخر، مناهج فرعيّة، نحو منهج الرّصْف juxtaposition ومنهج التّعويض compensation ومنهج التّحويل ومنهج التّكييف adaptation ومنهج التّفسير ومنهج الاقتباس ومنهج الإحالة (أي الكتابة على الهامش). وإذا كانت المناهج الفرعيّة الأولى تخصّ التّرجمة اللّغوية وتروم توحيد المصطلح، فإنّ المناهج الفرعيّة الثّانية "توفّر أدوات قيّمة للمترجم الّذي يرى أنّه ليست ثمّة نصوص كثيرة مستعصية على التّرجمة حتّى في مجال الأدب"[1]. غير أنّنا لا نعدم حضور بعض تلك المناهج الّتي توجّه نشاط التّرجمة، عامّةً، والتّرجمة الأدبية، خاصّةً، في التّرجمة اللّغوية المتخصّصة، وهذا يعني أنْ ليس المترجم الأدبيّ، وحده، من يمارس فعل الإبداع، إنّما المترجم اللّغويّ، كذلك، الّذي بإمكانه إعادة إبداع مصطلحات بدلاً من ترجمتها قياساً على إعادة إبداع أعمال أدبيّة بدلاً من ترجمتها.

من ذلك أنّ يحياتن، لكي يرفع اللّبْس الّذي يعتور مصطلح sémantique، يرصف مصطلحيْن اثنيْن للإشارة إلى أنّ المعنى المُراد ليس هو الدّلالة، ولكنّ العلم الّذي يدرس تجليّاتها بتحليل الدّليل، حيث يستعمل مصطلحاً مُركّباً هو (دراسة دلاليّة). وحين يتعرّض

[1] جوئيل رضوان، المرجع السّابق، ص 61.

لمصطلحيْن آخريْن، هما sens وsignification، بالتّرجمة، لا يغنيه المعادِلان الشّائعان بين جمهور اللّسانيّين، وهما معنى ودلالة، عن اصطناع مصطلحيْن مرصوفيْن، هما المعنى المُحصَّل والمعنى المُقدَّر، تأسيساً على أنّ التّمييز بين تصوّريْ هذيْن المصطلحيْن اللّذيْن لم يُتّفَق على تداخلهما أو تعارضهما، لدى بريبطو، يتّسم بالدقّة والصّرامة ويجعل "الدّلالة حصيلة مجموع المدلولات المجرّدة، على حين يُعزى المعنى إلى ملفوظ خاصّ وملموس، يُجلّيه السّياق والظّروف"[1]. وعلى الرّغم من قلّة ورود الرّصْف في ترجمة يحياتن لمصطلحات علم الدّلالة، إلاّ هذا المنهج يُظهِر أنّ المترجم مُلِمٌّ بالتّعريفات المختلفة والمتباينة، أحياناً، لبعض المصطلحات اللّسانية. وهو ما يحثّه؛ أي الإلمام، على إعمال الفكر من أجل تخيُّر المعادِل التّصوّري للمصطلح الأجنبيّ دفعاً لمزيدٍ من اللّبْس الّذي قد يثيره المُعادِل اللّساني، تماماً مثل المترجم الأدبيّ الّذي يلوذ بمنهج التّوليد المعنويّ ابتغاء "الإبحار بين مطبّات الحرفيّة littéralité والتّحريف travestissement"[2].

ولإماطة التّذبذب عنه، يعمِد يحياتن إلى استعمال منهج الاختيار بين مصطلحيْن اثنيْن يُكافِئ بهما مصطلحاً أجنبيّاً واحداً؛ فيقابِل connotation بمصطلح المعنى الحافّ أو مصطلح الإيحاء، وphonème بمصطلح الحرف أو مصطلح الفونيم، وsituation de discours بمصطلح المقام أو مصطلح حال الخطاب، وsèmes بمصطلح الصّفات الدّلالية أو مصطلح السيمات، وstructuration بمصطلح الانتظام أو مصطلح البناء/البنْيَنَة، وrelation d'antonymie بمصطلح علاقة التّقابل أو مصطلح (عدم التّوافق). وأيّاً كانت صيغة المصطلح المُختار، مُقترَضاً مثل فونيم أو مرصوفاً مثل صفات دلاليّة، وأيّاً كانت كيفيّة اختياره، بوضع المصطلح الثّاني في تقاطُع مع مصطلح ثالث أو بوضع أحد المصطلحيْن بين قوسيْن، فإنّ منهج الاختيار يُشعِرنا بالارتياب الّذي يساوِر المترجم، ذلك أنّ حرف العطف (أو) يفيد الاختيار كما يفيد الشّك؛ فإن كان يحياتن، بلا أدنى ريْب، مُدرِكا لتصوّر المصطلح أو مجموع تصوّراته ومطّلعاً على

[1] Collectif, op. cit, p 297.

[2] جوئيل رضوان، المرجع السّابق، ص 51.

تعريفه أو جملة تعريفاته، فإنّ توظيفه لمنهج الاختيار يوحي باستحالة الاستقرار على مصطلحٍ واحدٍ لالتباس المصطلح على سبيل المُشابَهة والمُشاكَلة.

وبناءً على هذا، نحسَب أنّ منهجيْ الرّصْف والاختيار، اللّذيْن يتحرّى بهما المترجم إزالة اللّبْس الّذي يحفّزه المصطلح اختلافاً أو ائتلافاً، يمثّلان مرحلة تفجير المصطلح الأجنبي؛ ففيها "يلِج قانون صوْغ المصطلح مرتبته الثّانية بعد مرتبة التّقبُّل الجُملي معنىً ومبنىً. وتتجسّم هذه المرحلة الثّانية في تفجير المصطلح وفرْقَعته لفصل مدلوله عن دالّه استشعاراً بزوال الغربة القائمة، في البدء، بين المُتصوَّر المدلول عليه والنّاطقين باللّسان المُتقبِّل مع بقاء هذه الغربة بينهم وبين اللّفظ الدّال على ذلك المدلول. وتلتجئ اللّغة، في هذا المقام، إلى عمليّة تحليليّة يتفكّك المفهوم المُوحَّد، بمقتضاها، إلى أجزائه المُكوِّنة له؛ فيقع التّعويل على عبارة متعدّدة الكلمات فيها إطنابٌ أدائيٌّ يسدّ خَلَلَ التّوازن الّذي طرأ بموجب انسحاب اللّفظ الدّال. وبذلك، تتخلّى اللّغة عن قانون الاقتصاد، لأنّ ناموساً أقوى منه قد تسلّط عليها، وهو قانون رفْع اللّبْس الّذي ترتهن به وظيفتها الإبلاغيّة"[1].

وبالتّوازي مع مرحلة تفجير المصطلح، يستثمر يحياتن منهجيْن آخريْن يمثّلان مرحلة تقبُّل المصطلح الدّخيل، وهي المرحلة الأولى من مراحل نقْل المصطلح الأجنبيّ في نظر المسدّي، وهذان المنهجان الفرعيّان هما الاقتراض والتّعريب. وإنّنا لننزع إلى التّفريق بينهما، انطلاقاً من أنّ الاقتراض يتعامل مع ظاهرة الدّخيل تعاملاً سلساً فيه شيءٌ من الرّضا والتّسامح والصّفح؛ ففيه يحتفظ المصطلح بصيغتيْه الصّوتية والصّرفية من غير عسْر ولا تضييق من اللّغة – الهدف، نظير سانتيم synthème، ومونيم monème، ومورفيم morphème، وفونيم phonème. أمّا التّعريب أو الاقتراض المُعرَّب، وهو ضربٌ من التّكييف، فهو منهجٌ يتجاوب مع ظاهرة الدّخيل بنوعٍ من التّطويع والتّرويض والتّذليل؛ ففيه يستكين المصطلح للصّيغتيْن الصّوتية والصّرفية للّغة – الهدف، مثل أكوستيكية acoustique، حيث جاء في ترجمة يحياتن

[1] عبد السّلام المسدّي، المرجع السّابق، ص 78.

قوله: "ينطوي الدّليل عند سوسير – أسوةً باللّغة – على وجهيْن من طبيعة مختلفة: – الدّال: هو عبارة عن الصّيغة الصّوتية (ويسمّيها سوسير الصّورة الأكوستيكية). – المدلول: وهو المحتوى الدّلالي (ويسمّيه سوسير المفهوم)"[1].

ولا تخلو ترجمة يحياتن لبعض مصطلحات علم الدّلالة من تجريد اصطلاحي، وهي المرحلة الثّالثة الّتي تكتمل فيها دورة المصطلح المنقول. وفيها يترجَم المصطلح من اللّغة – المصدر إلى اللّغة – الهدف بالاستفادة من مناهج تقييسية مُتداوَلة في وضع اللّغة المشتركة واللّغة الخاصّة، مثل منهج النّحت أو التّكثيف ومنهج التّركيب ومنهج الاشتقاق ومنهج المجاز، حيث تكون التّرجمة في درجة الصّفر، لا يحول دونها لبْسٌ، مختلفاً أكان أم مؤتلفاً، وهذا ما يستدعي الرصْف أو الاختيار، ولا يعكّر صفوها شغور لسانيّ و/أو تصوّريّ، يستلزم الاقتراض أو التّعريب. لقد جعل يحياتن لبعض المصطلحات مُكافِئات مجرّدة دَرَجَ عليها اللّسانيّون، وهي بحسب ورودها المتسلسل في التّرجمة:

Contenu	محتوى
Enoncé	ملفوظ
Unité significative minimale	وحدة دلاليّة دنيا
Référent	مرجع
Conventionnelle	اصطلاحيّة
Axe paradigmatique	محور استبدالي
Langue	لسان
Syntaxique	تركيبي
Relations hiérarchiques	علاقات تراتبيّة
Acte de parole	فعل كلامي
Parole	كلام

[1] سالم شاكر: "مدخلٌ إلى علم الدّلالة"، ترجمة: محمّد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللّغوية في الجزائر، د. ط، 2012، ص 12.

ومع أنّ الشّيوع مبدأٌ راسخٌ في ترجمة المصطلح، فإنّ يحياتن يجرّب مُكافِئات مصطلحيّة أخرى؛ فهو يؤثر التّطويح مُقابِلاً لمصطلح Accent، واللّفظ مُقابِلاً لمصطلح Expression، والحدث مُقابِلاً لمصطلح Aspect، والأداء الصّوتي المُعيّن مُقابِلاً لمصطلح allophone، والمُثُل النّحوية مُقابِلاً لمصطلح paradigmes grammaticaux. لقد نأى المترجم عمّا شاع في بعض الدّراسات والتّرجمات من تجريد اصطلاحيّ لتلك المصطلحات، نحو: نَبْر accent، وتعبير expression، وجِهة aspect، وبديل صوتي أو بَدْصَوْت، وهو مصطلح منحوت اقترحه عبد القادر الفاسي الفهري ليلائم المصطلح الأجنبيّ المنحوت allophone.

ويحرص يحياتن على تمييز مصطلح paradigme عن مصطلح paradigmatique، حيث يُكافِئ الأوّل بمِثال وجمعه مُثُل، ويُكافِئ الثّاني باستبدالي. وعندما يروم ترجمة commutation، يصطنع مصطلح استبدال مُسْقِطاً ياء النّسبة عن مصطلح استبدالي، لتلافي الخلْط بينه وبين paradigmatique؛ فنصبح، حينئذٍ، أمام اضطرابٍ اصطلاحيٍّ شكليٍّ مبعثه التباس تصوّرات paradigme وparadigmatique وcommutation؛ إذ يُفترَض أن ينتسب مصطلحا الاستبدال والاستبدالي إلى جذرٍ واحدٍ؛ فيُقابلان، من ثَمّ، المصطلحيْن الأجنبيّيْن الأوّليْن، مثل ما يرتئي المسدّي[1]، بخلاف الفهري الّذي يصطفي لكلّ مصطلح مُعادِليْن اثنيْن من جذريْن مختلفيْن، وهما أُنْموذَج وأمثول – أُنْموذَجي وأمثولي. أمّا الإبدال، الّذي نقترحه كترجمةٍ لمصطلح commutation، أو التّبديل، الّذي يقترحه الفهري، فهو تصوّر يسمح بالتّمييز بين المدلولات بناءً على تغيير الوحدات المُميِّزة في موضعٍ محدَّدٍ من تركيب الدّوال[2]. إنّ حروف السّين والضّاد والحاء في الدّوال الآتية: سيْف، وضيْف، وحيْف، تحقّق الاختلاف بين المدلولات، وتؤلّف، من ثَمّ، استبدال paradigme الصّوامت.

كما يتّفق يحياتن مع المسدّي في سنّ مُعادِلٍ لمصطلح connotation يبدو أنّه لا يعبّر،

[1] يُنظَر: عبد السّلام المسدّي: "الأسلوبيّة والأسلوب"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 5، 2006، ص 108.

[2] Collectif, op. cit, p 72.

شكلاً، عن التّصوّر الّذي يريده علماء الدّلالة؛ فهم يفضّلون له مصطلحات المعنى الحاف والدّلالة الحافّة وحافّ الدّلالة. يقول المسدّي عن مصطلحيْ الدّلالة الذّاتية dénotation والدّلالة الحافّة connotation مُقارِناً بينهما وبين مصطلحيْ الصّريح explicite والضّمني implicite: "وقد طابَق بعض المفكّرين بين مفهوم التّصريح ومحتوى الدّلالة الذّاتية (la dénotation)، ثمّ بين مفهوم التّضمين والدّلالة الحافّة (la connotation). وقد استُغِلّ ذلك التّمييز في التّحليل الأسلوبي، باعتبار أنّ الدّلالة الحافّة توحي أكثر ممّا تعبّر، ومنه الطّاقة الإيحائيّة في اللّغة. وتعتبر سمة أسلوبيّة ما لم تتكاثر أو تتكاثف؛ فتصبح عائقاً في الفهم. ومفهوم الإيحاء شديد التّمازج بمفهوم الإيجاز في البلاغة العربيّة. ويمكن تعريف سمة الإيحاء بأنّها حضور دلالة في الكلام ليس في عناصره ما يرتبط بها مباشرةً. من ذلك قول النّاقد طه حسين متحدّثاً عن أحد شعراء الغَزَل: (كان يحب النّساء، وكان يحب الغلمان، وكان يحب شيئاً آخر غير هذا وذاك)"[1].

لا شكّ أنّ هذا التّعريف يحدّد تصوّر المصطلح تحديداً لا يختلف فيه لسانيّان (أو أسلوبيّان) اثنان. غير أنّ الدّال المُقابِل للدّال الأجنبيّ، وهو الدّلالة الحافّة، يُلبِس على المتلقّي المصطلح؛ فينصرف إلى الاعتقاد بأنّ التّصوّر المُراد هو تصوّر المصطلح dénotation، ذلك أنّ مفردة (حافّ) تعني طَرَف الشّيء أو آخره ممّا يحيط به. ومن ثَمّ، فإنّ الدّلالة الحافّة أدنى إلى التّعبير عن الدّلالة الذّاتية والتّعيينية منها إلى التّعبير عن الدّلالة الإيحائية والتّضمينية. ولهذا، نلفي الفهري، مثلاً، يترجم المصطلح، مُستثمِراً منهج الاختيار، إلى دلالة مُواكِبة أو ظلّ معنى[2]؛ فالإيحاء أو التّضمين أو الدّلالة المُواكِبة أو ظلّ المعنى هو ما يُخلّفه الدّليل من أثر في نفْس المُتلقّي (المُرسَل إليه في حال التّواصل، والمُتلفَّظ له في حال التّلفّظ، والقارئ في حال الكتابة)،

[1] عبد السّلام المسدّي: "الأسلوبيّة والأسلوب"، ص 132، 133.

[2] بخصوص مصطلحات allophone وcommutation وparadigme وparadigmatique وconnotation، يُنظَر: عبد القادر الفاسي الفهري: "معجم المصطلحات اللّسانية؛ إنجليزي – فرنسي – عربي"، مشاركة: نادية العمري، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2009، ص 19، 48، 237، 56.

وهو، لذلك، يرتبط بالأسلوب أو الكلام أو الخطاب لا باللّغة، وبالاستعمال لا بالمعجم.

وفي حين، يستعمل يحياتن، في تضاعيف منهج الاختيار الّذي يندرج في مرتبة التّفجير، الاشتقاقَ حين يصوغ مصطلح الانتظام على وزن (انفعال) في ترجمته لـــ structuration، يستعمل، في مرتبة التّجريد، زيادةً على منهج الاشتقاق في تركيب على وزن (تفعيل) واصطلاح على وزن (افتعال) واستبدال على وزن (استفعال)، منهجَ التّركيب في ترجمته للمصطلح المنحوت أو المُكثَّف archisémème؛ فيُفكِّكه إلى مصطلحين اثنيْن هما معنى وجامِع. إنّ التّركيب منهجٌ يتميّز عن منهج الرّصْف من حيث إنّه يحترم بِنية المصطلح في اللّغة – المصدر؛ فإذا كان المصطلح في تلك اللّغة مُركَّباً أو منحوتاً، فإنّ التّرجمة ينبغي أن تستحدث مُكافِئاً يناسب صيغته، حتّى وإن صِيرَ إلى تكثيف المُركَّب وتركيب المُكثَّف، على حين لا يراعي الرّصْف بنية المصطلح من باب تقديم التّصوّر على الشّكل تيسيراً للفهْم، ولا يُشترَط في ذلك عددٌ معيّن من المفردات.

خلاصـــة

لقد حاول يحياتن التّوفيق بين تحقيق المُعادِلات اللّسانية لبعض مصطلحات علم الدّلالة وتحقيق المُعادِلات التّصوّرية لبعضها الآخر، حيث جرّب، مستنداً إلى أهليّته في ميادين اللّسانيات والمعجمية والمصطلحية والتّرجمة، استثمار بعض مناهج التّرجمة المعهودة في نقْل اللّغة المشتركة واللّغة الخاصّة، معاً، ضمن المراحل الثّلاث الّتي يتشكّل خلالها المصطلح المنقول؛ فقد وظّف منهجيْ الاقتراض والتّعريب في مرحلة التّقبُّل، ومنهجيْ الرّصْف والاختيار في مرحلة التّفجير، ومنهجيْ الاشتقاق والتّركيب في مرحلة التّجريد، بل راح يستعمل منهج الاشتقاق داخل منهج الاختيار نفسِه؛ فتقاطعت، بذلك، مرتبتا تفجير المصطلح وتجريده. إنّ حضور هذه المراحل أو المراتب في ترجمة يحياتن لا يعني التزامه بخطيّتها؛ تقبُّلٌ فتفجيرٌ ثمّ تجريدٌ؛ فهي خطيّة نظريّة استرجاعيّة صاغها المسدّي بعد تأمّل واستقصاء واقتفاء لسيرورة المصطلح المُترجَم إلى اللّغة العربية، حيث ليس من الضّروريّ، أن يتقيّد المُشتغِل بترجمة

المصطلح، عموماً، والمصطلح اللّساني، خصوصاً، بها ولا بالمناهج المُتضمَّنة في كلّ مرحلة أو مرتبة فيها حرْفياً. لقد كان يحياتن، بالأحرى، متحرّراً من قيود تلك المناهج، مع إدراكه لأهميّتها، لأنّ هدفه من ترجمة هذا الكتاب، الّذي تضمّن مجموعة من المحاضرات خصّصها صاحبها لطلبة الليسانس بجامعة الجزائر، تعليميّ صرف مثل هدف الكاتب تماماً. ولهذا، نجده يجتهد في استحداث مُكافِئات مصطلحيّة لم يألفْها الباحث وربّما القارئ، أيضاً، بما يتساوق مع هدفه ذاك. وهو ما أفضى به، أحياناً، إلى الوقوع في تململٍ على مستوى ترجمة شكل المصطلح نابعٍ من عدم التّمييز بين التّصوّرات الدّقيقة.

المصادر والمراجع

1. المصدر:

– أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ: "**لسان العرب**"، مادة (هـ – و– ي)، المجلّد الخامس عشر، بيروت، دار صادر للطّباعة والنّشر، ط. 3، 2004.

2. المراجع باللّغة العربية:

– عبد السّلام المسدّي: "**الأسلوبيّة والأسلوب**"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 5، 2006.

– عبد السّلام المسدّي: "**مباحث تأسيسيّة في اللّسانيات**"، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2010.

– عبد القادر الفاسي الفهري: "**معجم المصطلحات اللّسانية؛ إنجليزي – فرنسي – عربي**"، مشاركة: نادية العمري، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2009.

3. المراجع المُترجَمة:

– جان فرنسوا دورتيه: "**معجم العلوم الإنسانيّة**"، ترجمة: جورج كتورة، أبو ظبي، بيروت، هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث (كلمة)، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع (مجد)، ط. 1، 2009.

– جوئيل رضوان: "**موسوعة التّرجمة**"، ترجمة: محمّد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللّغوية في الجزائر، د. ط، 2010.

– سالم شاكر: "**مدخلٌ إلى علم الدّلالة**"، ترجمة: محمّد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)، منشورات مخبر الممارسة اللّغوية في الجزائر، د. ط، 2012.

– هنري بيجوان، فيليب تواورن: "**المعنى في علم المصطلحات**"، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: سليم نكد، بيروت، المنظّمة العربية للتّرجمة، ط. 1، 2009.

4. المرجع باللّغة الأجنبية:

Collectif : « Dictionnaire de la linguistique », Sous la direction de : Georges Mounin, France, puf, 2006.